أصدقاء لغتنا

تقف هذه الزاوية عند مترجمي الأدب العربي إلى اللغات العالمية المختلفة، ما هي مشاغلهم وأسئلتهم وحكاية صداقتهم مع اللغة العربية. «على الغرب أن يتعلّم قوّة التعلق بالأرض والتضحية بالنفس التي يعبّر عنها الأدب العربي»، يقول الكاتب والمترجم الإيطالي، باري، لـ «العربي الجديد»

ألدو نيكوسيا

استخفاف وسائل الإعلام الإيطالية بمصير الفلسطينيين أمر نخجل منه

ترابي (صقلية) ـ **العربي الجديد**

■ متى وكيف بدأت علاقتك باللغة العربية؟

قصتي مع اللغة العربية تطول. بدأت في الثمانينيات لما كنت طالباً في معهد الثانوية العامة في مدينة تقع جنوب شرقي صقلية، بفضل موقع جزيرتنا كانت تحدث في الصيف مفاجأة عجيبة غريبة: لما كنا نشغل التلفاز على القناة الأولى الوطنية (راي 1) كنا نصادف مشاهد غريبة ونتسمع إلى لغة غريبة. كانت القناة التونسية (أو الليبية أحياناً) التي تتطفل داخل شاشتنا الصغيرة. كان أفراد عائلتي يندهشون ويتذمرون من هذه الظاهرة في حين كنت أنا فضولياً في مشاهدة تلك القناة رغم أني لم أفهم حرفاً منها. حتى لما كنا نفتح المذياع كان يحدث نفس الأمر. فكان الأثير يعجّ بالمحطات العربية على الموجات المتوسطة والقصيرة. يمكنني القول إن اللغة العربية تمظهرت علينا الصقليين. كانت عيناي «تصطدمان» بها أيضاً عندما كنت أمسك بعدة منتجات غذائية في السوبرماركت. لهذا السبب كنت ألحّ على الذهاب إلى كل المحلات. فكنت أشتري كل أنواع البسكويت التي تُكتب على علبتها أسطر محتويات ومعلومات أخرى بالعربية. النتيجة كانت أن كل أدراج مطبخنا كانت تمتلئ بكل أنواع البسكويت فأمي ما كانت تفرح بذلك المشهد. ثم صرت من هواة جمع الطوابع البريدية والنقود من كل أنحاء العالم، خصوصاً الطوابع العربية. كنت أحاول تفكيك رموز العربية وحدي. ملاحظة مهمة: في تلك الفترة كان العثور في المكتبات على كتب قواعد العربية أو لغات غير أوروبية مجزّء سراب. ثم أخيراً حصلت على أول كتاب قواعد عربية فتحمست لدراستها وأكملت كل التمارين في غضون بعض الأشهر. المراسلة مع أصدقاء وصديقات قلم من كل الأقطار العربية ساعدتني كثيراً على تعلّم اللغة. لما دخلت الجامعة (أوربنتالي في نابولي) كنت قد تقدمت في الدراسات العربية. ففضلت مزاولة دروس لغات شرقية أخرى مثل التركية والفارسية والسواحلية. وأول رحلة إلى بلد عربي عام 1988 فتحت لي آفاقاً واسعة في محيط الثقافة العربية والمعرفة الحقيقية لما وراء الكتب.

■ ما أول كتاب ترجمتَه وكيف جرى تلقّيه؟

قبل أن أجيب عن هذا السؤال يجب أن أميّزَ بين تجربة الترجمة وتجربة نشر الترجمة، فمثلاً أنا كنت أترجم الكثير من المقالات الصحافية أو القصائد أو القصص القصيرة لكن فرص النشر كانت محدودة أو شبه مستحيلة، خاصة لو تعاملت مع دور نشر صغيرة من مدن صغيرة. أول ترجمة منشورة لي كانت من الإيطالية إلى العربية عام 1999. أمر غريب فعلاً، لكتاب إيطالي يجمع نصوصاً متنوعة ورسومات لتلاميذ المدارس الصقلية. كتاب تعليمي كان يهدف إلى اكتشاف ثقافة منطقة أهل ترابني، شمال غربي صقلية، بالنسبة لي كان جهداً كبيراً لكني أعتقد أن الكتاب لم يحظ برواج كبير خارج إيطاليا للأسف.

■ ما آخر إصداراتك المترجمة من العربية وما هو إصدارك القادم؟

آخر إصداراتي كان في الصيف الماضي: كتاب تحت عنوان عربي «بدايات» وهو يجمع الصفحات السبع الأولى لـ 22 رواية عربية كتبت بين عام 2011 وعام 2023. زميلتان لي ترجمت كل واحدة منهما بداية واحدة من الـ 22. كتبتُ مقدمة نقدية عن الأسلوب والقيمة الأدبية ووصفاً لبعض الأحداث. بطبيعة الحال، حاولت ألا أحرق كل أحداث الروايات ونهاياتها. الإصدار القادم يكون أنطولوجيا جديدة (الثالثة) تجمع مشاهد مختارة من سيناريوهات سينمائية لأفلام عربية. رغم أن النصوص السينمائية لها لغة متميزة وتخلو من جماليات أدبية وتشبه لغة المسرح، إلا أنها تقدّم حوارات مشوقة تتجلى فيها حيوية وعبقرية لغة الشارع تقريباً.

■ نلاحظ أن الاهتمام يقتصر على ترجمة الأدب العربي وفق نظرة واهتمام معينين، ولا يشمل الفكر وبقية الإنتاج المعرفي العربي، كيف تنظر إلى هذا الأمر وما هو السبيل لتجاوز هذه الحالة؟

أنا تخصصي السينما العربية والاقتباس السينمائي عن الأدب العربي وصارت لي تجارب متعددة مثل ترجمة أفلام. يترتب النقص الذي أشرت إليه على نوعية الأقسام الجامعية المخصصة للثقافة العربية. الكثير من تلك الجامعات، مثل الجامعة التي أدرّس فيها، توفر للطلبة دورات محدودة: اللغة والأدب (مادة اختيارية وغير مقررة) والثقافة العربية لساعات قليلة لا تكفي لاستيعاب كنوز الفكر العربي الكلاسيكي والحديث. كما يحدث أن بعض الطلبة يجهلون أساسيات الصراعات في الشرق الأوسط أو الفنون أو علم الاجتماع وغيرها. في هذا الإطار يجب أن أشير إلى أن ظروف المدرّسين المتعاقدين للمواد المذكورة مذلة لكرامتهم. رواتب قليلة ومؤجلة كأنها «بخشيش»! لما كنت متعاقداً قبل 22 سنة كنت أتقاضى أجراً مغرياً أكثر بنسبة 400% من الأجور الحالية، وذلك النوع من الإذلال يحدث في الكثير من الجامعات.

من السبل التي اقترح لتجاوز هذه الحالة إضرابات عامة ضد التمويل الضعيف من الوزارة المختصة أو طرق أخرى لدفع تضامن الأساتذة المستقرين الذين يتناسون هذا الوضع و«يطنشون» هذه الفئة من الزملاء.

■ هل هناك تعاون بينك وبين مؤسسات في العالم العربي أو بين أفراد وما شكل التعاون الذي تتطلع إليه؟

أنا أتعاون مع زملاء أو زميلات مستعربين أو عرب في مشاريع ثقافية أو في ندوات علمية. من المؤسسات العربية لا نتلقى أي دعم. دعني أحدثك تجربة شخصية: قبل سنتين، صديقة رئيسة لمنظمة خيرية في صقلية طلبت مني كتباً عربية لصالح المساجين العرب الموجودين في السجون الإيطالية. أولاً وجهت نداء في مجموعة «واتساب» تضم مئات من المثقفين العرب. أستاذة واحدة ردت علي قائلة إنها تريد أن تهدي عشرات الكتب لكن تكاليف الإرسال لا تسمح لها بذلك. ثم نصحت صديقتي بإرسال «إيميلات» إلى كل السفارات والقنصليات العربية في روما لطلب بعض الكتب، والنتيجة المحزنة أننا تلقينا القليل من الردود السلبية السريعة ولم يصل إلينا أي كتاب، فقررت أن أصرف مبلغاً من جيبي وطلبت من صديق مالك دار المتوسط في ميلانو أن يحسب لي خصماً لشراء 35 رواية عربية أو إيطالية مترجمة إلى العربية.

أول رحلة إلى بلد عربي عام 1988 فتحت لي آفاقاً واسعة

ظروف مدرّسي اللغة العربية في إيطاليا مُذلّة لكرامتهم

ألدو نيكوسيا

واستخفافها بمصير الفلسطينيين أمرٌ نخجل منه وغير مقبول. ولهذا السبب فإنّ التضامن مع القضية الفلسطينية حتى في الجامعات محدود جداً رغم جهودنا في توعية الطلبة والزملاء».

يُعرف عن ألدو نيكوسيا علاقته الوطيدة مع طلبته الذين ينجز معهم مشاريع بحثية وترجمية من حين إلى آخر، مثل كتاب «كشري - حكايات عربية ومالطية» (2021) الذي أنجز ترجمته مع طلبته، كما يوجههم للانتباه إلى قيمة الصداقة في الترجمة. يقول لـ«العربي الجديد»: «في مرحلة وضع الأطروحات الجامعية أنا أنصح طلبتي باختيار نصوص أدبية غير منشورة لكاتب/ة مستعر/ة للتفاعل مع المترجم وحتى لتوطيد علاقة صداقة، إضافة إلى ترجمة النصوص وتحليلها أدبياً وتاريخياً واجتماعياً».

ولا يرى صاحب «الرواية العربية في السينما» (2014) في الترجمة الأدبية مُغنياً عن الحوار والتواصل والتعرف، حيث يؤكد لنا في نهاية اللقاء: «الترجمات المنشورة لا تكفي (كيف نرصد ترويج رواية أو قصائد بشكل دقيق؟) بل نحتاج إلى الترجمات الشفوية اليومية التي تتبادلها في مشاوير نا الحياتية أو في أسفارنا لعلّها تترك في عوالمنا الداخلية والباطنية آثاراً غير مرئية لكنها منقوشة في وجداننا».

(العربي الجديد)

تصويب

لا أحد لمدن الشرف

سومر شحادة

مدنٌ مسفوحة تحت القصف
والردم وأعتى القتل، مدنٌ أحببناها
إلى حدٍّ لا يمكن أن تُكْتَبَ لها
مرثية، أو تنظر إليها عينٌ، وتبقى
عيناً سليمة من غير أن يعطيها
الموت. مع أنَّ شوارعها القديمة
تموت، وبيوتها القديمة، وتاريخها
القديم يفنى. إلا أن الرثاء يتمنّع عن
النطق. الأصفادُ لا تزال في الأيدي،
وللكلمات أثر الحريق في الحنجرة.
حتّى لكأنَّ العالم احترقَ، والقاتل
أطلقَ طائر الموت في كُلِّ مكان.
بيروت تهتُكت، دمشق مُغْتَقَلَةٌ،
وفي القدس لا يزالُ طائر الموت
يضربُ جناحيه ليشملَ حتّى
ماضي المكان. لا أحدَ لمدن
الشرق، طائر الموت يهمي، وحشياً
متمرّساً، ويريدُ أن يقتصَّ من كُلِّ
ما أنبتَ في مدن الشرق، حتّى
لو كان حزناً ونَيداً يتعكز في
الأرياف، حتّى لو كان ندماً. حتّى
لو كان عمراً لمدنٍ لا يوجد مَن
يربتُها بكلمة واحدة تنتمي إلى
الغد. حتّى الحزن، يخربُهُ أخوة
علينا. لا شيء في مدن الشرق،
سِوى صفير الموت والصمت،
صفيرٌ يخرج من عمقٍ أصمّ،
من عمقٍ خالٍ؛ حتّى لكأنَّ ذلك
الخلو الذي يقبع وراءَ كُلِّ شيء،
يقول لنا: اسكنوا في ذلك الخلوّ،
والبثوا في رداء معتم.. تعرفون
الآن أنكم معزولون، تعرفون أنَّ
طائر الموت انتُدِبَ من أمم كثيرة،
وأنَّكم منتزَعون أخيراً من أرضكم.
تعرفون أنَّكم صرتم غرباء، ومدن
الشرق صارت سيلٌ يُتم، وأنَّ طائر
الموت الذي يهمي في الخارج، جاءَ
كي يعيدَ هذه الأرض خلاءً حتّى
من القرابين، حتّى من الرجاء.
لا تشعلوا ناراً، لا تهتفوا، لا تناجوا
أحداً. مدنكم مقتولةٌ، وأنتم مطوَّقون
بالحريّة، ومكتوبون بالنسيان.

(روائي من سورية)

بطاقة

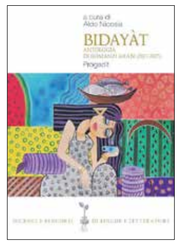

Aldo Nicosia باحث وكاتب ومترجم من مواليد صقلية عام 1968، يدرّس اللغة العربية وآدابها بجامعة باري منذ 2013. من كتبه: «السينما العربية» (2007)، و«الرواية العربية في السينما» (2014)، و«بدايات - أنطولوجيا للرواية العربية 2011 -2023» (2024/ الصورة). ترجم إلى الإيطالية رواية «ليل ونهار» لسلوى بكر (2018) وجزءاً من قصص كتاب «كشري- حكايات عربية ومالطية» (2021). ترجم إلى العربية «كتاب المنطقة» (1999).

إطلالة

رواية الحجر

عباس بيضون

معرض «مناظر طبيعية برّية» للفنّانة التشكيلية اللبنانية غادة الزغبي في «غاليري جانين ربيز» ببيروت، ذو موضوع واحد هو الحجر. يدرج الموضوع الواحد في هذه الأيام، بحيث يغدو المعرض كلّه أقرب إلى أن يكون واحداً في أغراضه وعناوينه. هو كذلك يقول الشيء نفسه، وإن بقدْر من التفاوت والاختلاف. يكون المعرض في هذه الحال مؤلّفاً واحداً، كأنّما هو كذلك الرواية ذاتها.

ما يجمع بين الأعمال المعروضة هنا هو هذا العنوان الواحد. نحن في ذلك أمام خلطة بين الرسم وموضوعه، أي بين اللوحة وكلمتها ومقالتها إذا صحّ التعبير. هذا يبني جسوراً بين الرسم والكلمة، بين المعرض والرواية، أي بين التشكيل والأدب. معرض غادة الزغبي هو تماماً تلك الخلطة، إذ لا نفرّق فيه بين لوحة ولوحة إلّا بقربها من هذا العنوان الشامل: الحجر.

إذا نحن تأمّلنا في لوحات المعرض التي تنوف على العشرين، لا بدّ أن يأخذنا هذا الوصف للحجارة بأشكال شتّى. سنلاحظ أنّ رواية المعرض تبدأ من هنا. سنرى في لوحةٍ حجارة مرصوفة دون أن تتّخذ شكلاً محدّداً، أنّها صفحة واحدة متراكمة من أحجار لا تتفاوت فقط بالحجم، بل تتراكب في تشكيل واحد، هو منظومة ذات حركة داخلية. فالحجارة ليست فقط متراكمة، إنّما هي في تراكمها تتحرّك من الداخل. سنجد إلى جانبها لوحات يؤدّي تراكمها إلى أنساق كاملة. أنساق تُجهّز شكلاً مستقيماً، يجعل اللوحة الحجرية هذه تبدو، كأنّها في تأسيسها لشكل متوازٍ تكاد توحي بمنحوتة مضمرة، بل ومنحوتة منصوبة.

سنجد أنّ الركام هنا موزون ومتناسق، بحيث نشعر أنّنا لسنا أمام ركام عشوائي، أنّ لهذا الركام شكلاً وضوءاً. فالحجارة المركومة تملك ما يجعلها نسقاً، ما يمنحها، داخل هذا التوازن، ليس حركةً فحسب، بل ضوء أيضاً. الحجارة هكذا لا تؤلّف فقط نحتاً، بل هي إذا ذهبنا في الخيال، جنب اللوحة الأخرى متفاوتتين في قليل أو كثير، تكاد أن تكون كلمةً تكتمل أو تضيف أو تنضاف إلى اللوحة المجاورة، التي هي أيضاً، على نحو ما، كمالة لها.

هكذا نجد أنّ بين اللوحات تسلسلاً، بل هي في تورّعها على الجدران تتكامل كلمةً بعد كلمة. إنّها هنا، إزاء نفسها وإزاء اللوحات الأخرى، فالجميع واحدة بعد واحدة، لا تزال تؤلّف تلك الرواية المتّصلة، فصلاً بعد فصل، عنواناً بعد آخر.

هكذا لا يفاجئنا أنّ الحائط الجداري يتحوّل، في لوحات أُخرى، من شكل مرصوف إلى شكل منصوب متعامد. لا يفاجئنا أنّ النصب ليس وحده موجوداً في فضاء. هكذا نجده في حضرة مكان لا يحيط به فحسب، بل يضيف إليه ما يجعل من اللوحة مشهداً، بل يجعل منها طبيعة صامتة، إن لم نقل ظلاً نحتياً. هذا النصب لن يبقى سيّد المكان وموضوعه، إنّه في لوحات أُخرى يتحوّل، أكثر فأكثر، إلى شيء في اللوحة أو تفصيل فيها. إنّه يرقى بنصبيته لكنه ينزاح إلى ركن في اللوحة. إنّه هكذا حجم محاط بفضاء، عارم، وسيبقى ينزوي حتى لا يكاد يظهر لحساب فضاء يزداد اتساعاً وانشراحاً.

نفهم من هنا أنّ رواية المعرض لا تزال تتسلسل وتتنوّع، إلى أن نصل إلى الصخور التي ينبثق من فوقها موج متعالٍ. لقد وصلت الرواية إلى البحر، هناك قصّة أُخرى للحجر، ثم يتفرّغ الفضاء، ويتّسع بحيث نجد أنّه صار هو اللوحة، ولم يبقَ من الحجر سوى فتات وزوايا. لن نعجب هكذا إذا وجدناه يختفي أو يغدو شكلاً بيتياً، أو طاولة فحسب. هكذا يتحوّل النصب المنحوت إلى فراغ، تنتهي الرواية بهذه الدرجة من الخفاء. من الحائط الجداري إلى النصب والمنحوتة، قبل أن يتّسع الفراغ وتتّسع معه اللوحة التي تغدو، شيئاً فشيئاً فضاءً، يغلب فيها الفراغ أكثر فأكثر حتى يبدو سائداً. مع ذلك يفقد الحجر كيانه ويتراجع قليلاً، إلى أن يكاد يختفي، ولا يبقى سوى أثره وصداه. من المنحوتة والنصب إلى الفراغ، هكذا تتسلسل الرواية كأنّما نبدأ من الشكل الكامل إلى درجة من الزوال، من الوجود الشاخص الكلّي إلى العدم.

(شاعر وروائي من لبنان)

الأعمال المنشورة لا تكفي، لا بدّ من أصوات حيّة

قيمة الصداقة في الترجمة

نحتاج إلى الترجمات الشفوية اليومية التي نتبادلها في مشاويرنا الحياتية، لعلها تترك في عوالمنا الداخلية آثاراً غير مرئية في وجداننا، يقول المترجم الإيطالي

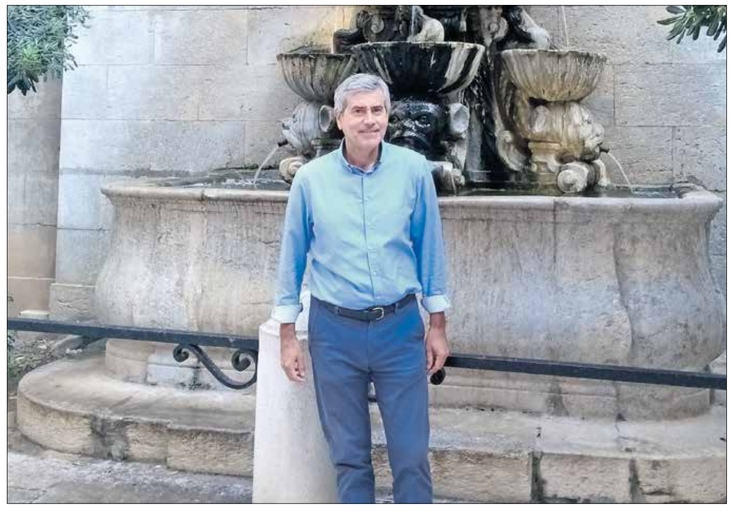

ألدو نيكوسيا. صديق للغتنا في صقلية

عند سؤاله عن المزايا الأساسية للأدب العربي ولماذا من المهم أن يصل إلى العالم، يقول ألدو نيكوسيا لـ «العربي الجديد»: «أنا أدرس وأدرّس الأدب العربي الحديث والمعاصر في دوراتي الجامعية، وأشعر بمتعة في متابعته، لأنه مرآة لعدة مجتمعات وشعوب تريد التعبير عن قيمها العليا (مثلاً يجب على الغرب أن يتعلّم قوة التعلّق بالأرض والتضحية بالنفس) وأصواتها وتنتج فنوناً وجماليات متميزة حتى في ظروف صعبة أو ماساوية».

لا تخفى على أستاذ اللغة العربية وآدابها في جامعة باري الإيطالية حالة الاختلال الحاصلة بين أوروبا والعالم العربي، وأن وراء هذا الاختلال عمليات تضليل إعلامي تستجيب للتدليس السياسي، ويرى في الأدب العربي والفنون العربية وسيلةً للرد ولخلق بعض التوازن في العلاقة، أي بتقديم معرفة حقيقية غير مزيّفة بالعالم العربي وشعوبه وقضاياه: «هناك وسائط ووسائل عديدة لتجعل العالم الغربي يصغي إلى طموحات الإنسان العربي. إضافة إلى الأدب، هناك المسرح والسينما والموسيقى والفنون التشكيلية الأخرى.

أظن أن المترجم يمكن أن يبني جسور التواصل بين الناس في أوروبا والعالم العربي ليس فقط عن طريق الكلمات».

ويضيف: «لحد الآن، التضليل الممنهج لمعظم وسائل الإعلام الإيطالية

فعاليات

يُفتتح مساء السبت، الخامس من الشهر المقبل، في «مركز باربيكان» بلندن، معرض المؤسّسة الخيالية للهند: الفن 1975 - 1998، ويتواصل حتى الخامس من كانون الثاني/يناير 2025، بمشاركة ثلاثين فنّاناً هنديا. يضيء المعرض التحوّلات السياسية والاقتصادية الكبرى التي عاشتها الهند خلال الربع الاخير من القرن العشرين.

يُنظّم «معهد قطر لبحوث البيئة والطاقة» في الدوحة، عند الثانية من بعد ظُهر بعد غد، حوارية بعنوان الاستخدام الحكيم للمياه: حلول مستدامة لمستقبل قطر، بمشاركة الباحثين: جيني لولر (الصورة)، وبيتر ديسموند، وفيكتور كوتشكودان. تناقش الحوارية التدابير المبتكرة للحفاظ على المياه ودور الافراد في المستقبل المائي.

يقيم «مجلس الاعمال العراقي» في عمّان، عند السابعة من مساء غد الاثنين، ورشة عمل تعريفية في «فندق رويال» حول سيرة الفنان الفو توغرافي العراقي لطيف العاني (1932 - 2021). تتناول الورشة تجربة العاني الذي كان من اوائل المصوّرين الذين وثّقوا الحياة الاجتماعية الحديثة في العراق بين الخمسينيات والسبعينيات.

تنظّم «مكتبة الاسكندرية»، عند الثالثة من بعد ظُهر غد، محاضرة بعنوان من المعلّقات إلى فيسبوك: إضاءات على نصوص الثقافة العربية لاستاذ الادب المقارن كمال عبد الملك. تقارب المحاضرة محاور عدّة؛ مثل: اللغة وصناعة الكلام، والفنون الادبية، والسيرة والتراجم، والعجائب والغرائب، والعلاقة بين العرب والغرب.